معجزات الشفاء

فيما يلى أعرض عليكم ما تسنّى لى جمعُه من آثار فى ذلك:

١ - عن سهل بن سعد رضى الله عنه ، سمع النبى ﷺ يقول يوم خيبر: «لأعطينّ الراية رجلاً يفتح الله على يديه». فقاموا يرجون لذلك أيّهم يُعْطى ، فغدوا ، وكلهم يرجو أن يُعْطى. فقال: « أين علىّ»؟ فقيل: يشتكى عينيه، فأمر، فدُعى به، فبصق فى عينيه ، فبرأ مكانه حتى كأن لم يكن به شىء.

[رواه البخارى ومسلم والترمذى وأحمد وابن ماجه]

٢ - عن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبى رافع اليهودى رجالاً من الأنصار ، فأمَّر عليهم عبدالله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذى رسول الله ﷺ ، ويعين عليه، وكان فى حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه، وقد غربت الشمس، وراح[١] الناس بسرحهم[٢] ، فقال عبدالله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإنى منطلق ومتلطف للبواب؛ لعلّى أن أدخل. فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنّع بثوبه، كأنه يقضى حاجة، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبدالله ، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإنى أريد أن أغلق الباب فدخلت، فكمنت[٣]، فلما دخل الناس أغلق الباب ثمّ علّق الأغاليق[٤] على وتد. قال: فقمْتُ إلى الأقاليد[٥] فأخذتها، ففتحْتُ الباب، وكان أبو رافع يُسْمَر عنده، وكان فى علالى[٦] له، فلما ذهب عنه أهل سمره ، صعدْت إليه، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقْتُ علىّ من داخل، قلتُ: إنْ القوم نذروا بى، لم يخلصوا إلىَّ

---

(١) راحِ : من الرواحِ وهو العودة عند غروب الشمس.

(٢) السَّرح : جمع سَرح، وهى الدواب التى يسرحون بها للرعى.

(٣) كمن : توارى واستخفى.

(٤) الأغاليق: أى ما تُغْلق به الأبواب.

(٥) الأقاليد : أى المفاتيح.

(٦) العلالىّ : جميع علّيّة وهى الغرفة.

حتى أقتله، فانتهيْتُ إليه، فإذا هو فى بيت مظلم وسط عياله، لا أدرى أين هو من البيت، فقلت : يا أبا رافع. قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت، فأضربه ضربةً بالسيف، فما أغنيت شيئاً[1]، وصاح، فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد، ثمّ دخلْتُ عليه، فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمّك الويل، إن رجلاً فى البيت ضربى قبل بالسيف. قال: فأضربة ضربة أثخنته[2] ، ولم أقتله، ثم وضعت ظُبَة[3] السيف فى بطنه حتى أخذ فى ظهره، فعرفْتُ أنى قتلته. فجعلْتُ أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجةٍ له، فوضعْت رجلى وأنا أرى أنى قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت فى ليلة مقمرة، فانكسرت ساقى، فعصبتها بعمامة ، ثم انطلقْتُ حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلتهُ. فلما صاح الديك ، فقام الناعى على السور، فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابى فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيْت إلى رسول الله ﷺ فحدّثْتُه، فقال: «أبسط رجلك» فبسطْتُ رجلى، فمسحها، فكأنها لم اشتكها قط. [رواه البخارى].

٣ - عن يزيد بن أبى عبيد، قال: رأيت ضربة فى ساق سلمة، فقلْتُ: يا أبا مسلم، ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابتى يوم خيبر. فقال الناس: أُصِيْبَ سلمة. فأتيْتُ النبى ﷺ ، فنفث فيه ثلاث نفثات ، فما اشتكيتها حتى الساعة. [رواه البخارى وأبو داود وأحمد].

٤ - عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما، قال: كنتُ مع النبى ﷺ فى غزاة، فأبطأ علىّ جملى وأعْيا[4] فتخلّفْتُ ، فنزل يحجنه[5] بمحجنه، ثم قال:

---

(١) فما أغنيت شيئاً : لم تفعل فيه ضربة السيف شيئاً.

(٢) أثخنته : أى أصبته إصابة بالغة ، ولكنها لم تقتله.

(٣) ظبة السيف : مقدمتهُ المدّببة.

(٤) أعيا : تعب وكَلَّ.

(٥) يحجنه : أى جذبه إليه بالمحجن ، وهو عصاً معقّفة الرأس.

اركب. فركبّت ، فلقد رأيتُهُ أكفه[1] عن رسول الله ﷺ .

[رواه البخارى ومسلم والنسائى وأبو داود وأحمد] .

من بين الأنبياء الذين اختصّوا بمعجزة الشفاء كان عيسى عليه السلام، الذى قال فيه جل شأنه:

﴿ وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾[المائدة: ١١٠] .

ولم يُجْرِ سبحانه وتعالى هذه المعجزة على يديه إلا لأن قومه كانوا بارعين فى علوم الطب، ولأنهم كانوا يقفون عاجزين عن هاتين الحالتين وما فى مقامهما، وعندما فعل عيسى عليه السلام ما عجزوا هم عن فعله، كان ذلك مؤشراً على أنَّه مؤيَّد من قبل الإله الواحد الذى يدعو إليه، فى ظل يقينهم بأنه عليه السلام لم يتلقّ درساً واحداً فى علوم الطب.

وليس ذكر معجزة عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم دليلاً على أنها أجل قدراً وأعظم خطراً من معجزات محمد ﷺ . فالعكس هو الصحيح ، لأن عيسى عليه السلام كان يتعامل مع حالات مرضيّة، التى يكون الأشخاص عرضة للتلبّس بها أو تحولها عنهم تلقائياً، أما رسول الله ﷺ فكان يشفى حالات أبلغ أثراً فى الأشخاص.

١ - العين المريضة يبصق فيها، فتذهب كل آثار المرض منها.

٢ - والرجل المكسورة ينفث فيها رسول الله ﷺ، فتعود صحيحة كما كانت.

٣ - والبعير المريض الضعيف يلمسه محجن رسول الله، فيغدوا قوياً.

أولاً : شفاء عين الإمام المريضة :

إن صاحب العين المريضة يذهب إلى الطبيب؛ فيعطيه قطرة، يضع منها فى عينيه؛ لتعود صحيحة معافاة كما كانت.

---

(١) أكفّه : أى أشدّه بلجامه حتى لا يلحق برسول الله.

أما فى حالة الإمام كرّم الله وجهه، فإن الدواء لم يكن مركباً كيماوياً، يتمّ تحضيره فى المعامل الطبية، بل كان ريق رسول الله ﷺ.

وقبل الاستغراق فى هذا الباب يجب أن ننتبه إلى أمر قد يقع فيه الناس وهم يقرأون هذا الباب، من حيث لا يشعرون، وهو كون كلمة (البصاق) لا تحمل فى مخيلة الإنسان سوى الاستقذار؛ نتيجة لشيوع استخدامها فى باب الإهانات والاسترذال.

وحقيقة الأمر هذه الكلمة فى أصلها الذى نشأت منه، لم تكن تحمل هذه الإيحاءات ، والدليل هو وجود كلمة أخرى تحمل نفس الدلالة، ولكنها لا تحمل نفس الإيحاءات، وهى كلمة (ريق) التى لم يستخدمها الناس فى الأبواب التى استُخدمت فيها كلمة (بصاق).

فالبصاق هو الريق، لذلك فلا داعى لاستقذار هذه الكلمة.

ولو أننا نظرنا إلى البصاق وتركيبته الطبيعية، لوجدناها واحدة لدى البشر جميعاً، ولوجدنا أنه لا يحمل أى عنصر من العناصر التى لها خاصيَّة الشفاء من أمراض العيون. وكذلك كان رسول الله ﷺ ؛ لأنه كان بشراً كغيره من بنى الإنسان وهذا يقودنا إلى القول بأن السر فى كون بصاق رسول الله دواء يشفى أمراضاً عديدة، يكمن فى طهارته ﷺ . وهو قول يشهد الواقع بصحّته.

فقد مرّ علىّ، وعلى العديد من أهل الإسلام أن رأينا رجالاً يأخذون من بصاقهم (ريقهم)، ويضعون منه على العين المصابة، فتشفى بإذن الله.

والعامل المشترك بين هؤلاء جميعاً هو تقواهم وقربهم من الله تعالى. وكأن هذه التقوى هى السّر فى خاصيّة العلاج لديهم بالريق أو بالملامسة، فى ظل تسليمناً بأن من لا يتصفون بالتقوى لا يحملون هذه القدرة العلاجية فى متعلقاتهم.

فما بالك إذا كان صاحب هذه التقوى هومحمد ﷺ صفوة الخلق أجمعين، وأقربهم من رب العالمين؟

ولم يكن التعلّق بذات رسول الله مقتصراً على الريق فقط، فقد كان الصحابة الأولون يحرصون على كل ما يفضل منه ﷺ سواء أكان قصاصة شعر أم قلامة ظفر أم فضلة ماء أو غير ذلك؛ طلباً لبركة رسول الله من خلال تلك الفضلة.

ثانياً: الساق المكسورة:

وأما صاحب الرجل المكسورة، فقد جبرها له ﷺ بثلاث نفثات من فمه، وأما فى الأحوال الطبيعية فإن التئام الكسر لابد له من جبيرة تمنع حركة الساق لمدة قد تطول وقد تقصر، وأما مع رسول الله فقد كانت نفثاته الثلاث كافية لجبر الكسر فى غمضة عين.

وفى هذه المعجزة وسابقتها كان اللقاء مع بعض معجزات إبراهيم وعيسى عليهما السلام.

ذكر لنا جل شأنه فى كتابه الكريم بعض ما كان من آيات مع إبراهيم على نبينا، وعليه الصلاة والسلام، فقال:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[**البقرة**: ٢٦٠].

فأمره جل شأنه بأن يأخذ أربعة من الطير، ويذبحهن ويقطعهن ثم يضع على كل جبلٍ منهنّ جزءاً ثم دعاهنَّ، فأتيْنَه سعياً.

وها هو محمد ﷺ يفعل قريباً من هذه المعجزة، ولكن بيده الشريفة التى جعل الله تعالى فيها خاصيَّة الإحياء، ولكنه ليس من باب ردّ الروح إلى الجسد الميت، إنما من باب أنّ الشىء إذا فقد هيئته السّويَّة فقد فعاليّته المطلوبة منه فى الحياة، تماماً كالجسد المادى إذا خرجتْ منه الروح فَقَدَ فعاليّته فى الحياة وانتهى دوره.

لذلك فإنّ الساق عندما كُسرت ماتت، بمعنى أنّ صاحبها لم يَعُدْ يجدْ فيها الفعاليّة المطلوبة منها، وعندما وضع رسول الله ﷺ يده عليها شُفيت من خلال التئام الكسر الذى فيها، وكأن يده بذلك أعادت للساق حياتها الخاصَّة من خلال تمكينها من أداء فعاليتها.

وكذلك هو الحال مع عيسى عليه السلام الذى كان ينفخ فى هيئة الطين، فتغدوا طائراً حيّاً، وهو بهذه النفخة جعل هيئة الطين تخرج عن وضعها الطبيعى إلى وضعٍ آخر، مغاير تمام المغايرة للوضع الأوّل.

فنفخة عيسى عليه السّلام هى نفس نفثة محمّد ﷺ ، من باب أنّ كُلاً منهما أَعْطتْ للشىء المعنىّ وضعاً آخر، مغاير للوضع المفروض، بعيداً عن كل القوانين الماديَّة والطبيعية فى حياة الإنسان.

ويجب أن لا تلجئنا عدم القدرة على إدراك السّرّ فى هذه الفعاليات إلى القول بأن لمسة رسول الله ﷺ أو نفثته لم تكن هى الفاعلة فى تلك الحالات، وأن الفاعل الحقيقى هو الله جل شأنه، الذى إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

فكما أن الأدوية تحمل فى ذاتها الشفاء من الأدواء التى تصيب الإنسان فكذلك ذات رسول الله ﷺ ، كانت ذاته الشريفة حاملة من الخصائص ما يجعلها تؤثر على كل الأدواء، لتكون سبباً فى حالات الشفاء.

ثالثاً: البعير الضعيف:

وهذا البعير لم يكن شفاؤه إلا أن مسّه محجن رسول الله ﷺ ، فعاد بعيراً قويّاً، يسبق الأبعرة الأخرى.

وتعلمون جيداً أن مظاهر الضعف التى تبدو على الكائن الحىّ ليست مقتصرة على المظهر الحركى العام، بل هى نتيجة لخلل فى كامل البنية الجسديَّة إمّا من مرضٍ أو قلّة طعام، وهذا بالتحديد ما كان من أمر بعير جابر بن عبدالله رضى الله عنهما، فكان شفاؤه أن مسَّه محجن رسول الله ﷺ.

فليست البركة محصورة فى ذاته الشريفة ﷺ، بل هى أيضاً فى كل شىء له تعلّق بذاته الشريفة، كالعصا والمحجن، وفضلة الماء، أو فضلة الطعام، وغير ذلك.

ومن الملاحظ فى هذا الباب أن معجزات الشفاء عند رسول الله ﷺ لم تقتصر على زمن حياته على هذه الأرض، فقد ورد من الآثار ما يشير إلى أن فعاليَّة قدرته ﷺ تتجلى على الأفراد حتى فى الأحلام، ومن ذلك.

١ - الشاعر (شرف الدين البوصيرى ١٢١٣-١٢٩٥) أُصيب بالشلل فلزم فراشه، وأخذ ينظم قصيدة فى مدح الرسول ﷺ، وكان مطلعها:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانٍ بِذِى سَلَمِ ... مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

وذات يوم وصل فى نظمه إلى بيت، نظم شطره الأول، وهو:

وَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فيه أَنَّهُ بَشَرٌ

ولم يستطع أن يكمل شطره الثانى، وحاول فى ذلك كثيراً، لكن لم يستطع إتمامه، ونام فى فراشه، فرأى فى الحلم أن الرسول ﷺ زاره، وسأله عن حاله، فشكا له البوصيرى عدم تمكنه من إتمام البيت، فقال: له الرسول ﷺ: أكمله على الشكل التالى:

وأنَّه خير خلق الله كلِّهم

ثم ألبسه ﷺ بردةً، ومسح المكان المشلول بيده الشريفة وهبَّ البوصيرى من نومه دهشاً مسروراً، فقد شُفى من مرضه تمام الشفاء، فسمّى القصيدة (البُرْدة)[١].

٢ - وعن أبى الوفاء القارى الهروى، قال: رأيت المصطفى ﷺ فى المنام بفرغانة[٢] سنة ستين وثلاثمائة، فكنت أقرأ عند السلطان، وكانوا لا يسمعون،

---

(١) تعطير الأنام فى تعبير المنام - عبدالغنى النابلسى - ص ٢٤.

(٢) فرغانة: بلد فى الأندلس قديماً.

ويتحدثون ، فانصرفت إلى المنزل مغتّماً، فنمْت ، فرأيت النبى ﷺ ، كأنه تغيّر لونه، فقال لى عليه السلام: أتقرأ القرآن كلام الله عزّ وجل بين يدى قوم يتحدثون، ولا يسمعون قراءتك، لا تقرأ بعد هذا إلا ما شاء الله.

فانتبهْتُ ، وأنا ممسك اللسان[1] أربعة أشهر ، فإذا كانت لى حاجة أكتبها على الرقاع، فحضرنى أصحاب الحديث وأصحاب الرأى، فأفتوا بأنى آخر الأمر أتكلّم، فإنه قال« إلا ما شاء الله» وهو استثناء، فنمْت بعد أربعة أشهر فى الموضع الذى كنْتُ نمتُ فيه أولاً، فرأيت النبى ﷺ فى المنام ، يتهلّل وجهه، فقال لى: لقد تبْتَ؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: من تاب تاب الله عليه، أخرج لسانك، فمسح لسانى بسبابته، وقال: إذا كنت بين يدى قوم، وتقرأ كتاب الله، فاقطع قراءتك حتى يسمعوا كلام الله، فانتبْهتُ وقد انفتح لسانى بحمد الله ومنّه[2].

فى الأثرين السابقين لم تكن الملامسة بين رسول الله وبين صاحب الحلم ملامسةً جسديَّة ؛ لأنّ رسول الله ﷺ قائم فى المدينة المنوّرة تحت القبَّة الخضراء، وصاحب الرؤيا لم يترك فراشه، فكيف كان اللقاء؟

إنّه لقاء الأرواح، لا لقاء الأجساد.

يقول سبحانه وتعالى:

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الزمر :٤٢].

ومما قيل فى تفسير ذلك:

إن أرواح الأحياء والأموات تلتقى فى المنام، فتتعارف ما شاء الله منها[3].

---

(١) ممسك اللسان : أى لا يتحرك لسانه، كأن هناك من يمسك به.

(٢) تفسير الأحلام - ابن سيرين - ص٣٥ ، ٣٦.

(٣) تفسير القرطبى - الجزء الخامس عشر - ص ٢٦٠.

ومن ذلك ما كان اللقاء بين روح الشاعر شرف الدين البوصيرى أثناء نومه مع روح رسول الله ﷺ ، فكان الحوار بينهما، ثم كان شفاء ساقى الشاعر من الشلل بلمسةٍ من رسول الله .

وقد يزيد من وضوح هذه الرؤية ما ورد فى تفسير قوله تعالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾

[الإسراء :٨٥]

فكان مما قيل فى تفسير الروح، بأنه خلق له هيئة ابن آدم، يأكلون ويشربون .(١) .

ومن النصوص التى تثبت أن الروح تأكل وتشرب، قوله ﷺ :« إن أرواح الشهداء فى أجواف طيرٍ خُضْرٍ تحلق من ثمر الجنة، أو شجر الجنة» .

[رواه الترمذى ، ورواه مسلم من طريق آخر، وبلفظٍ مختلف]

فها هى الأرواح تدخل إلى الجنَّة ، لتنال من النعيم الوافر فيها، وتعلمون جيداً أن الجنَّة أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين ، فجعل فيها من النعيم ما لم تره عين ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر. ولو كانت الروح لا تأكل ولا تشرب لما كان من ألوان النعيم المعجّل لها أن تنال من ثمار الجنَّة التى أعدّها جل شأنه للأجساد المؤمنة يوم القيامة .

ومن ملاحظات العلماء فى هذا العصر هذه الرواية :

روزا كوليشوفا ، فتاة روسيَّة ، ذهبت إلى طبيبها ذات يوم فى عام ١٩٦٢ وأبلغته أنها اكتشفت أن فى استطاعتها أن تميّز بين الألوان وأن تقرأ الحروف المطبوعة باستخدام أصابعها .

---

(١) تفسير القرطبى - الجزء العاشر - ص ٣٢٤.

فأجرى عليها العلماء التجارب، فأكدوا أن روزا تملك حساسيَّة خاصة فى جلدها تمكّنها من الرؤية بأصابعها[1].

لذلك، فإنّ رؤيتها عن طريق أصابعها تدل على أن العين هى أداة الرؤية، ولكنها ليست مصدرها، والمخ كذلك أداة التفكير، ولكنه ليس مصدره الأساسى.

وكأن هذا المسار يقودنا إلى القول بأن السّر فى فعاليات الجسد المادى بعيداً عن القوانين الطبيعية نابع من فعاليَّة الروح داخل الجسد عندما تكون حاضرة فيه، فإذا مات بقيت الروح فى إطار القانون الذى خُلقت به.

وليس هذا فحسب، بل إن فى إمكاننا القول بأن الجسد باعتبار أنه خَلْقٌ من خَلْق الله تعالى له أن يتجاوز القوانين التى خُلق بها إذا استطاع أن يتخلص من القوانين الماديَّة التى تحكمه، فها هو رسول الله ﷺ يخبرنا عن المؤمن قائلاً: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله».

فماذا تتوقعون من رجل وسيلته فى الرؤية هى نور الله تعالى؟!

---

(١) حقائق وغرائب - محمد العزب موسى - ص ٦٤، ٦٥.

obeikandl.com